

محمود درويش

## مَدِيحُ النَّهْلِ الْعَالِي

بَحْرٌ لَا يُلْوَلُ الْجَدِيدِ. خَرِيفُنَا يَدْنُو مِنَ الْأَبْوَابِ..  
بَحْرٌ لِلنَّشِيدِ الْمُرِّ. هَيَّأْنَا لِبَيْرُوتِ الْقَصِيدَةِ كُلَّهَا.  
بَحْرٌ لِمُنْتَصَفِ النَّهَارِ.  
بَحْرٌ لِرَايَاتِ الْحَمَامِ، لِظِلَّتِنَا، لِسِلَاحِنَا الْفَزْدِيِّ  
بَحْرٌ، لِلزَّمَانِ الْمُسْتَعَارِ  
لِيَدَيْكَ، كَمْ مِنْ مَوْجَةٍ سَرَقَتْ يَدَيْكَ  
مِنَ الْإِشَارَةِ وَانْتِظَارِي  
ضَعْ شَكْلَنَا لِلْبَحْرِ. ضَعْ كَيْسَ الْعَوَاصِفِ عِنْدَ أَوَّلِ صَخْرَةٍ  
وَاحْمِلْ فِرَاعَكَ.. وَانكِسَارِي  
..وَاسْتَطَاعَ الْقَلْبُ أَنْ يَرْمِيَ لِنَافِذَةِ تَحِيَّتِهِ الْأَخِيرَةِ،  
وَاسْتَطَاعَ الْقَلْبُ أَنْ يَعْوِي، وَأَنْ يَعِدَّ الْبَرَارِي  
بِالْبُكَاءِ الْحُرِّ..  
بَحْرٌ جَاهِزٌ مِنْ أَجْلِنَا  
دَعْ جِسْمَكَ الدَّامِي يُصَفِّقُ لِلخَرِيفِ الْمُرِّ أَجْرَاسًا.  
سَتَتَّسِعُ الصَّحَارِي

عَمَّا قَلِيلٍ، حِينَ يَنْقُصُ الْفَضَاءُ عَلَى خُطَاكَ،  
 فَرَعْتُ مِنْ شَعْفِي وَمِنْ لَهْفِي عَلَى الْأَحْيَاءِ. أَفْرَعْتُ انْفِجَارِي  
 مِنْ صَحَايَاكَ، اسْتَنْدْتُ عَلَى جِدَارٍ سَاقِطٍ فِي شَارِعِ الزَّلْزَالِ،  
 أَجْمَعُ صُورَتِي مِنْ أَجْلِ مَوْتِكَ،  
 خُذْ بَقَايَاكَ، اتَّخِذْنِي سَاعِدًا فِي حَضْرَةِ الْأَطْلَالِ. خُذْ قَامُوسَ

نَارِي

وَأَنْتَصِرُ

فِي وَرْدَةِ تَرْمِي عَلَيْنِكَ مِنَ الدُّمُوعِ  
 وَمِنْ رَغِيفِ يَابِسٍ، حَافٍ، وَعَارٍ

وَأَنْتَصِرُ فِي آخِرِ التَّارِيخِ...

لَا تَارِيخَ إِلَّا مَا يُورِّخُهُ رَحِيلُكَ فِي انْهِيَارِي  
 قُلْنَا لَبِيرُوتِ الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا، قُلْنَا لِمُنْتَصِفِ النَّهَارِ:

بَيْرُوتُ قَلَعْتُنَا

بَيْرُوتُ دَمَعْتُنَا

وَمِفْتَاحُ لِهَذَا الْبَحْرِ. كُنَّا نُفْطَةِ التَّكْوِينِ،

كُنَّا وَرْدَةَ السُّورِ الطَّوِيلِ وَمَا تَبَقِيَ مِنْ جِدَارٍ

مَاذَا تَبَقِيَ مِنْكَ غَيْرَ قَصِيدَةِ الرُّوحِ الْمُحَلَّقِ فِي الدُّخَانِ قِيَامَةً

وَقِيَامَةً بَعْدَ الْقِيَامَةِ؟ خُذْ نُّثَارِي

وَأَنْتَصِرُ فِي مَا يَمُرُّ قَلْبَكَ الْعَارِي،

وَيَجْعَلُكَ انْبِشَارًا لِلْبِدَارِ

قَوْسًا يَلُمُّ الْأَرْضَ مِنْ أَطْرَافِهَا..  
 جَرَسًا لِمَا يَنْسَاهُ سُكَّانُ الْقِيَامَةِ مِنْ مَعَانِكَ.  
 انْتَصِرْ،  
 إِنَّ الصَّلِيبَ مَجَالِكَ الْحَيَوِيِّ، مَسْرَاكَ الْوَحِيدِ مِنَ الْحِصَارِ إِلَى  
 الْحِصَارِ.  
 بَحْرٌ لَا يُدَوِّلُ الْجَدِيدِ. وَأَنْتَ إِيقَاعُ الْحَدِيدِ تَدُقُّنِي سُحْبًا عَلَى  
 الصَّخْرَاءِ،  
 فَلْتُنْمِطِرْ  
 لِأَسْعَبِ هَذِهِ الْأَرْضَ الصَّغِيرَةَ مِنْ إِسَارِي.  
 لَا شَيْءَ يَكْسِرُنَا  
 وَتَنْكِسِرُ الْبِلَادُ عَلَى أَصَابِعِنَا كَفَخَّارٍ، وَيَنْكَسِرُ الْمَسَدُّسُ مِنْ  
 تَلَهُّفِكَ.  
 انْتَصِرْ، هَذَا الصَّبَاحَ، وَوَحْدَ الرَّايَاتِ وَالْأُمَمِ الْحَزِينَةِ وَالْفُصُولَ  
 بِكُلِّ مَا أُوتِيَتْ مِنْ سَبَقِ الْحَيَاةِ،  
 بِطَلْقَةِ الطَّلَقَاتِ  
 بِاللَّاشَيْءِ  
 وَحَدَّنَا بِمُعْجَزَةِ فِلَسْطِينِيَّةِ...  
 بَيْرُوتُ قَصَّتْنَا  
 بَيْرُوتُ عَصَّتْنَا  
 وَبَيْرُوتُ اخْتَبَرُ اللَّهُ.

يَا اللَّهُ، جَرَّبْنَاكَ جَرَّبْنَاكَ.  
 مَنْ أَعْطَاكَ هَذَا اللُّغْزَ؟ مَنْ سَمَّاكَ؟  
 مَنْ أَعْلَاكَ فَوْقَ جِرَاحِنَا لِيرَاكَ؟  
 فَظَاهِرٌ مِثْلَ عَنَقَاءِ الرَّمَادِ مِنَ الدَّمَارِ!



نَمْ يَا حَبِيبِي، سَاعَةٌ  
 لِنُتَمَّرَ مِنْ أَحْلَامِكَ الْأُولَى إِلَى عَطَشِ الْبِحَارِ إِلَى الْبِحَارِ.  
 نَمْ سَاعَةٌ، نَمْ يَا حَبِيبِي سَاعَةٌ  
 حَتَّى تَتَوَبَّ الْمَجْدَلِيَّةُ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَتَّضِحَ انْتِحَارِي.  
 نَمْ، يَا حَبِيبِي، سَاعَةٌ  
 حَتَّى يَعودَ الرُّومُ، حَتَّى نَطْرُدَ الحُرَّاسَ عَنَ أَسْوَارِ قَلْعَتِنَا،  
 وَتَنكسِرَ الصَّوَارِي.  
 نَمْ سَاعَةٌ. نَمْ يَا حَبِيبِي  
 كَيْ نُصَفِّقَ لِاعْتِصَابِ نِسَائِنَا فِي شَارِعِ الشَّرَفِ التِّجَارِي.  
 نَمْ يَا حَبِيبِي سَاعَةٌ، حَتَّى نَمُوتَ  
 هِيَ سَاعَةٌ لِلْأَمْهِيَارِ،  
 هِيَ سَاعَةٌ لَوُضُوحِنَا  
 هِيَ سَاعَةٌ لِغُمُوضِ مِيلَادِ النَّهَارِ



أَتَمَوْتُ فِي بَيْرُوتَ - لَا تُولِمُ لِبَيْرُوتَ الرَّغِيفَ - عَلَيكَ أَنْ تَجِدَ  
اِنتِظَارِي

فِي أَنَاشِيدِ التَّلَامِيذِ الصَّغَارِ، وَفِي فِرَارِي  
مَنْ حَدِيقَتِنَا الصَّغِيرَةِ فِي اتِّجَاهِ الْبَحْرِ -  
لَا تُولِمُ لِبَيْرُوتَ النَّيْدَ - عَلَيكَ أَنْ تَرْمِي عُبَارِي  
عَنْ جَبِينِكَ. أَنْ تُدَثِّرَنِي بِمَا أَلْفَتْ يَدَاكَ مِنَ الْحِجَارَةِ،  
أَنْ تَمُوتَ كَمَا يَمُوتُ الْمَيِّتُونَ،  
وَأَنْ تَنَامَ إِلَى الْأَبَدِ  
وَالِى الْأَبَدِ..

لَا شَيْءَ يَطْلُعُ مِنْ مَرَايَا الْبَحْرِ فِي هَذَا الْحِصَارِ،  
عَلَيْكَ أَنْ تَجِدَ الْجَسَدَ  
فِي فِكْرَةٍ أُخْرَى، وَأَنْ تَجِدَ الْبَلَدَ  
فِي جُثَّةٍ أُخْرَى، وَأَنْ تَجِدَ انْفِجَارِي  
فِي مَكَانِ الْانْفِجَارِ...  
أَيْنَمَا وُلِّيتَ وَجْهَكَ:  
كُلُّ شَيْءٍ قَابِلٌ لِلانْفِجَارِ.



الآن بَحْرٌ،  
الآن بَحْرٌ كُلُّهُ بَحْرٌ،  
وَمَنْ لَا بَرَّ لَهُ

لَا بَحْرَ لَهُ  
 وَالْبَحْرُ صُورَتُنَا  
 فَلَا تَذْهَبُ تَمَامًا  
 هِيَ هِجْرَةٌ أُخْرَى، فَلَا تَذْهَبُ تَمَامًا  
 فِي مَا تَفْتَحُ مِنْ رَيْعِ الْأَرْضِ، فِي مَا فَجَّرَ الطَّيْرَانُ فِينَا  
 مِنْ يَتَابِعِ. وَلَا تَذْهَبُ تَمَامًا  
 فِي شَطَايَانَا لِنَبْحَثَ عَنْ نَبِيِّ فَيْكَ نَامَا.  
 هِيَ هِجْرَةٌ أُخْرَى إِلَى مَا لَسْتُ أَعْرِفُ..  
 أَلْفَ سَهْمٍ شَدَّ خَاصِرَتِي لِيَدْفَعَنِي أَمَامَا.  
 لَا شَيْءَ يَكْسِرُنَا  
 وَمَنْ أَدْمَى حَبِيبَ اللَّهِ، يَا ابْنَ اللَّهِ، سَمَاهُ، وَأَنْزَلَهُ كِتَابًا أَوْ غَمَامَا.



كَمْ كُنْتَ وَحْدَكَ، يَا ابْنَ أُمِّي،  
 يَا ابْنَ أَكْثَرٍ مِنْ أَبِي،  
 كَمْ كُنْتَ وَحْدَكَ  
 الْقَمْحُ مَرٌّ فِي حُقُولِ الْآخِرِينَ  
 وَالْمَاءُ مَالِحٌ  
 وَالغَيْمُ فُؤَادٌ. وَهَذَا النَّجْمُ جَارِحٌ  
 وَعَلَيْكَ أَنْ تَحْيَا وَأَنْ تَحْيَا  
 وَأَنْ نُعْطِيَ مُقَابِلَ حَبَّةِ الزَّيْتُونِ جِلْدَكَ.

كَمْ كُنْتَ وَحْدَكَ.



لَا شَيْءَ يَكْسِرُنَا، فَلَا تَعْرِقْ تَمَامًا  
 فِي مَا تَبَقِيَ مِنْ دَمٍ فِيْنَا..  
 لِنَذْهَبَ دَاخِلَ الرُّوحِ الْمُحَاصِرِ بِالتَّشَابُهِ وَالتَّيَامِي  
 يَا ابْنَ الهَوَاءِ الصَّلْبِ، يَا ابْنَ اللَّفْظَةِ الْأُولَى عَلَى الْجُزْرِ الْقَدِيمَةِ،  
 يَا ابْنَ سَيِّدَةِ الْبَحِيرَاتِ الْبَعِيدَةِ، يَا ابْنَ مَنْ يُحْيِي الْقُدَامِي  
 مِنْ خَطِيئَتِهِمْ، وَيَطْبَعُ فَوْقَ وَجْهِ الصَّخْرِ بَرْقًا أَوْ حَمَامًا.



لَحْبِي عَلَى الْحِيْطَانِ لَحْمُكَ، يَا ابْنَ أُمِّي  
 جَسَدٌ لِأَضْرَابِ الظَّلَالِ  
 وَعَلَيْكَ أَنْ تَمْشِي بِلَا طُرُقٍ  
 وَرَاءَ، أَوْ أَمَامًا، أَوْ جَنُوبًا أَوْ شِمَالًا  
 وَتُحْرِكَ الخُطُوتِ بِالْمِيزَانِ  
 حِينَ يَنْشَأُ مَنْ وَهَبُوكَ قَيْدَكَ  
 لِيُزَيِّنُوكَ وَيَأْخُذُوكَ إِلَى الْمَعَارِضِ كَيْ يَرَى الزُّرَّاءُ مَجْدَكَ.  
 كَمْ كُنْتَ وَحْدَكَ!



هِيَ هِجْرَةٌ أُخْرَى..

فَلَا تَكْتُبْ وَصِيَّتَكَ الْأَخِيرَةَ وَالسَّلَامَا.

سَقَطَ الشُّقُوطُ، وَأَنْتَ تَعْلُو

فِكْرَةً

وَيَدَا

و.. شَامَا!

لَا بَرَّ إِلَّا سَاعِدَاكَ

لَا بَحْرَ إِلَّا الْغَامِضُ الْكُحْلِيُّ فِيكَ

فَتَقَمَّصِ الْأَشْيَاءَ كَيْ تَتَقَمَّصَ الْأَشْيَاءَ خُطُوتَكَ الْحَرَامَا

وَاسْحَبْ ظِلَالَكَ عَنِ بِلَاطِ الْحَاكِمِ الْعَرَبِيِّ حَتَّى لَا يُعَلِّقَهَا

وَسَامَا

وَأكْسِرْ ظِلَالَكَ كُلَّهَا كَيْ لَا يَمُدُّوَهَا بِسَاطَا أَوْ ظَلَامَا.



كَسْرُوكَ، كَمْ كَسْرُوكَ كَيْ يَقْفُوا عَلَى سَاقِيكَ عَرْشَا

وَتَقَاسِمُوكَ وَأَنْكَرُوكَ وَحَبَّأُوكَ وَأَنْشَأُوا لِيَدَيْكَ جَيْشَا

حَطُّوكَ فِي حَجْرٍ.. وَقَالُوا: لَا تُسَلِّمُ

وَرَمَوْكَ فِي بئرٍ.. وَقَالُوا: لَا تُسَلِّمُ

وَأَطَلْتَ حَرْبِكَ، يَا ابْنَ أُمِّي،

أَلْفَ عَامٍ أَلْفَ عَامٍ أَلْفَ عَامٍ فِي النَّهَارِ.

فَأَنْكَرُوكَ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ سِوَى الْخَطَابَةِ وَالْفِرَارِ.

هُمْ يَسْرِفُونَ الْآنَ جِلْدَكَ



فَاخَذَرُ مَلَامِحَهُمْ.. وَغَمَدَكَ  
 كَمْ كُنْتَ وَحْدَكَ، يَا ابْنَ أُمِّي،  
 يَا ابْنَ أَكْثَرِ مِنْ أَبِي،  
 كَمْ كُنْتَ وَحْدَكَ!



وَالآنَ، وَالْأَشْيَاءُ سَيِّدَةٌ، وَهَذَا الصَّمْتُ عَالٍ كَالذُّبَابِ  
 هَلْ تُدْرِكُ الْمَجْهُولَ فِينَا؟ هَلْ نُعَيِّي مِثْلَمَا كُنَّا نُعَيِّي؟  
 سَقَطَتْ قِلَاعٌ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ، لَكِنَّ الْهَوَاءَ الْآنَ حَامِضٌ.  
 وَحَدِي أُدَافِعُ عَنْ جِدَارٍ لَيْسَ لِي  
 وَحَدِي أُدَافِعُ عَنْ هَوَاءٍ لَيْسَ لِي  
 وَحَدِي عَلَى سَطْحِ الْمَدِينَةِ وَاقِفٌ..  
 أَيُّوبُ مَاتَ، وَمَاتَتِ الْعَنْقَاءُ، وَأَنْصَرَفَ الصَّحَابَةُ  
 وَحَدِي. أَرَاوُدُ نَفْسِي الشُّكْلَى فَتَأْبِي أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَى نَفْسِي  
 وَوَحْدِي  
 كُنْتُ وَحْدِي  
 عِنْدَمَا قَاوَمْتُ وَحْدِي  
 وَحَدَةَ الرُّوحِ الْأَخِيرَةَ..



لَا تَذْكُرِ الْمَوْتَى، فَقَدْ مَاتُوا فُرَادَى أَوْ.. عَوَاصِمٌ

سَأْرَاكَ فِي قَلْبِي غَدًا، سَأْرَاكَ فِي قَلْبِي  
 وَأَجْهَشُ يَا ابْنَ أُمِّي بِاللُّغَةِ  
 لُغَةٍ تُفْتَشُّ عَنْ بَنِيهَا، عَنْ أَرْضِيهَا وَرَاوِيهَا  
 تَمَوْتُ كَكُلِّ مَنْ فِيهَا، وَتُرْمَى فِي الْمَعَاجِمِ.  
 هِيَ آخِرُ النَّخْلِ الْهَزِيلِ وَسَاعَةُ الصَّحْرَاءِ،  
 آخِرُ مَا يَدُلُّ عَلَى الْبَقَايَا  
 كَانُوا، وَلَكِنْ كُنْتُ وَحْدَكَ  
 كَمْ كُنْتُ وَحْدَكَ تَنْتَمِي لِقَصِيدَتِي، وَتَمُدُّ زَنْدَكَ،  
 كَيْ تُحَوِّلَهَا سَلَالِمَ، أَوْ بِلَادًا، أَوْ خَوَاتِمَ  
 كَمْ كُنْتُ وَحْدَكَ يَا ابْنَ أُمِّي  
 يَا ابْنَ أَكْثَرِ مِنْ أَبِي  
 كَمْ كُنْتُ وَحْدَكَ!..!



وَالآنَ، وَالْأَشْيَاءُ سَيِّدَةٌ، وَهَذَا الصَّمْتُ يَأْتِينَا سِهَامًا  
 هَلْ نُدْرِكُ الْمَجْهُولَ فِينَا. هَلْ نُعْيِي مِثْلَمَا كُنَّا نُعْيِي؟  
 آه، يَا دَمْنَا الْفَصِيحَةَ، هَلْ سَتَاتْنِيهِمْ غَمَامًا،  
 هَذِهِ أُمَّمٌ تَمُرُّ وَتَطْبُحُ الْأَزْهَارَ فِي دَمِنَا  
 وَتَزْدَادُ انْقِسَامًا.  
 هَذِهِ أُمَّمٌ تُفْتَشُّ عَنْ إِجَابَتِهَا مِنَ الْجَمَلِ الْمُرْخَرَفِ..  
 هَذِهِ الصَّحْرَاءُ تَكْبُرُ مِنْ حَوْلِنَا

صَحْرَاءَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ  
صَحْرَاءَ تَأْتِينَا لِتَلْتَمِهَمَ الْقَصِيدَةَ وَالْحُسَامَا.

اللَّهُ أَكْبَرُ

هَذِهِ آيَاتُنَا، فَاقْرَأْ

بِاسْمِ الْفِدَائِيِّ الَّذِي خَلَقَنَا

مِنْ جُرْحِهِ شَفَقًا

بِاسْمِ الْفِدَائِيِّ الَّذِي يَرْحَلُ

مِنْ وَقْتِكُمْ.. لِنِدَائِهِ الْأَوَّلِ

الْأَوَّلِ الْأَوَّلِ

سَنُدْمِرُ الْهَيْكَلَ.

بِاسْمِ الْفِدَائِيِّ الَّذِي يَبْدَأُ

إِقْرَأْ

بَيْرُوتُ - صُورَتُنَا

بَيْرُوتُ - سُورَتُنَا.



بَيْرُوتُ - لَا

ظَهْرِي أَمَامَ الْبَحْرِ أَسْوَأَ وَ.. لَا

قَدْ أَخْسِرُ الدُّنْيَا.. نَعَمْ!

قَدْ أَخْسِرُ الْكَلِمَاتِ..

لَكِنِّي أَقُولُ الْآنَ: لَا.

هِيَ آخِرُ الطَّلَقَاتِ - لَأَ.  
 هِيَ مَا تَبَقَّى مِنْ هَوَاءِ الْأَرْضِ - لَأَ.  
 هِيَ مَا تَبَقَّى مِنْ نَشِيجِ الرُّوحِ - لَأَ.  
 بَيْرُوثٌ - لَأَ.

نَامِي قَلِيلًا، يَا ابْنَتِي، نَامِي قَلِيلًا  
 الطَّائِرَاتُ تَعُضُّنِي. وَتَعُضُّ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ عَسَلٍ  
 فَنَامِي فِي طَرِيقِ النَّحْلِ، نَامِي  
 قَبْلَ أَنْ أَصْحَوْ قَلِيلًا.  
 الطَّائِرَاتُ تَطِيرُ مِنْ عَرْفِ مُجَاوِرَةٍ إِلَى الْحَمَامِ، فَاضْطَجِعِي  
 عَلَى دَرَجَاتِ هَذَا السُّلَمِ الْحَجَرِيِّ، وَانْتَبِهِي إِذَا اقْتَرَبَتْ  
 شَطَايَاهَا كَثِيرًا مِنْكَ وَارْتَجِفِي قَلِيلًا.

نَامِي قَلِيلًا.  
 كُنَّا نُحِبُّكَ، يَا ابْنَتِي،  
 كُنَّا نَعُدُّ عَلَى أَصَابِعِ كَفِّكَ الْيُسْرَى مَسِيرَتَنَا  
 وَنُنْقِصُهَا رَحِيلًا.

نَامِي قَلِيلًا.  
 الطَّائِرَاتُ تَطِيرُ، وَالْأَشْجَارُ تَهْوِي،  
 وَالْمَبَانِي تَحْزِنُ السُّكَّانَ، فَاحْتَبِي بِأَعْيُنِي الْأَخِيرَةِ، أَوْ بَطْلَقْتِي  
 الْأَخِيرَةَ، يَا ابْنَتِي

وَتَوَسَّدِينِي كُنْتُ فَحْمًا أَمْ نَحِيلًا.  
 نَامِي قَلِيلًا.  
 وَتَقَعْدِي أَرْهَارَ جِسْمِكِ،  
 هَلْ أُصِيبَتْ؟  
 وَاتْرِكِي كَفِّي، وَكَأْسِي شَايِنَا، وَدَعِي الْعَسِيلًا.  
 نَامِي قَلِيلًا.  
 لَوْ أَسْتَطِيعُ أَعَدْتُ تَرْتِيبَ الطَّبِيعَةِ:  
 هَهُنَا صَفْصَافَةٌ.. وَهُنَاكَ قَلْبِي  
 هَهُنَا قَمْرُ التَّرْدُدِ  
 هَهُنَا عُصْفُورَةٌ لِلْإِثْتِيَاهِ  
 هُنَاكَ نَافِذَةٌ تُعَلِّمُكَ الْهَدِيلَ  
 وَشَارِعٌ يَرْجُوكِ أَنْ تَبْقِي قَلِيلًا.  
 نَامِي قَلِيلًا.  
 كُنَّا نُحِبُّكَ، يَا ابْنَتِي،  
 وَالْآنَ نَعْبُدُ صَمْتِكَ الْعَالِي  
 وَنَرْفَعُهُ كَنَائِسَ مِنْ بَنُولا.  
 هَلْ كُنْتُ غَاصِبَةً عَلَيْنَا، دُونَ أَنْ نَدْرِي.. وَنَدْرِي  
 آه مَنَّا.. آه مَاذَا لَوْ حَمَشْنَا صُرَّةَ الْأُفُقِ.  
 قَدْ يَحْمِشُ الْغَرْقَى يَدًا تَمْتَدُّ  
 كَيْ تَحْمِي مِنَ الْغَرْقِ.



بَيْرُوثٌ - لَا  
 ظَهْرِي أَمَامَ الْبَحْرِ أَسْوَأُ وَ.. لَا.  
 قَدْ أَحْسِرُ الدُّنْيَا، نَعَمْ،  
 قَدْ أَحْسِرُ الْكَلِمَاتِ وَالذِّكْرَى  
 وَلَكِنِّي أَقُولُ الْآنَ: لَا.  
 هِيَ آخِرُ الطَّلَقَاتِ - لَا.  
 هِيَ مَا تَبَقَّى مِنْ هَوَاءِ الْأَرْضِ - لَا.  
 هِيَ مَا تَبَقَّى مِنْ حُطَامِ الرُّوحِ - لَا.  
 بَيْرُوثٌ - لَا.



أَشْلَاؤُنَا أَسْمَاؤُنَا. لَا.. لَا مَفْرٌ.  
 سَقَطَ الْقِنَاعُ عَنِ الْقِنَاعِ عَنِ الْقِنَاعِ،  
 سَقَطَ الْقِنَاعُ  
 لَا إِخْوَةَ لَكَ يَا أَخِي، لَا أَصْدِقَاءَ  
 يَا صَدِيقِي، لَا قِلاَعُ  
 لَا الْمَاءَ عِنْدَكَ، لَا الدَّوَاءَ وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الدَّمَاءَ وَلَا الشَّرَاعُ  
 وَلَا الْأَمَامُ وَلَا الْوَرَاءُ  
 حَاصِرٌ حِصَارَكَ.. لَا مَفْرٌ

سَقَطَتْ ذِرَاعَكَ فَاتَقَطَّهَا  
 وَاصْرَبْ عَدُوَّكَ.. لَا مَفْرُ.  
 وَسَقَطْتُ قُرْبَكَ، فَانْقَطَيْتَنِي  
 وَاصْرَبْ عَدُوَّكَ بِي.. فَأَنْتَ الْآنَ حُرٌّ  
 حُرٌّ  
 وَ حُرٌّ..

قَتْلَاكَ، أَوْ جَرْحَاكَ فِيكَ ذَخِيرَةٌ  
 فَاصْرَبْ بِهَا. اصْرَبْ عَدُوَّكَ.. لَا مَفْرُ.  
 أَشْلَاؤُنَا أَسْمَاؤُنَا

حَاصِرٌ حِصَارَكَ بِالْجُنُونِ  
 وَبِالْجُنُونِ

ذَهَبَ الدِّينَ تُحِبُّهُمْ، ذَهَبُوا  
 فَأَمَّا أَنْ تَكُونَ  
 أَوْ لَا تَكُونَ،

سَقَطَ الْقِنَاعُ عَنِ الْقِنَاعِ عَنِ الْقِنَاعِ  
 سَقَطَ الْقِنَاعُ  
 وَلَا أَحَدٌ

إِلَّاكَ فِي هَذَا الْمَدَى الْمَفْتُوحِ لِلْأَعْدَاءِ وَالنَّسِيَانِ،  
 فَاجْعَلْ كُلَّ مِثْرَاسٍ بَلَدًا  
 لَا.. لَا أَحَدٌ

سَقَطَ القِنَاعُ  
 عَرَبٌ أَطَاعُوا رُومَهُمْ  
 عَرَبٌ وَبَاعُوا رُوحَهُمْ  
 عَرَبٌ وَضَاعُوا  
 سَقَطَ القِنَاعُ  
 وَاللَّهُ غَمَسَ بِاسْمِكَ البَحْرِيَّ أُسْبُوعَ الوِلَادَةِ وَاسْتَرَاحَ إِلَى الأَبَدِ  
 كُنْ أَنْتِ. كُنْ حَتَّى تَكُونِ!  
 لَأ.. لَأ أَحَدٌ

يَا خالقي في هَذِهِ السَّاعَاتِ مِنْ عَدَمٍ تَجَلَّ!  
 لَعَلَّ لي حُلْمًا لأَعْبُدُهُ  
 لَعَلَّ!  
 عَلَّمْتِي الأَسْمَاءَ  
 لَوْ لَأ  
 هَذِهِ الدُّوَلُ اللَّقِيْطَةُ لَمْ تَكُنْ بَيْرُوتُ تُكَلِّي  
 بَيْرُوتُ - كَلَّا

بَيْرُوتُ - صُورَتُنَا  
 بَيْرُوتُ - سُورَتُنَا  
 فَإِذَا أَنْ نَكُونُ  
 أَوْ لَأ نَكُونُ





أَنَا لَا أُحِبُّكَ،

كَمْ أُحِبُّكَ!

غَيْمَتَانِ أَنَا وَأَنْتِ وَحَارِسَانِ يُتَوَجَّانِ الْإِتِّبَاهَ بِصَرَخَةٍ،  
وَيَمْدَدَانِ اللَّيْلَ حَتَّى آخِرِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ. أَقُولُ حِينَ أَقُولُ

بَيْرُوتُ الْمَدِينَةُ لَيْسَتْ أَمْرَاتِي

وَبَيْرُوتُ الْمَكَانُ مُسَدَّسِي الْبَاقِي

وَبَيْرُوتُ الزَّمَانُ هُوِيَّةُ «الآن» الْمُصْرَجِ بِالْدُخَانِ.

أَنَا لَا أُحِبُّكَ،

كَمْ أُحِبُّكَ!

عَمْسِي بِاسْمِي زُهُورِكَ وَاتِّرِبَهَا فَوْقَ مَنْ يَمْشِي عَلَى جُنَّتِي

لِيَتَّسِعَ السَّرَائِي

لَا تَسْحَبِينِي مِنْ بَقَايَاكَ، اسْحَبِينِي مِنْ يَدَيَّ وَمِنْ هَوَايَ

وَلَا تَلُومِينِي، وَلُومِي مَنْ رَأَى سَائِرًا كَالْعَنْكَبُوتِ عَلَى خُطَايَ

هَلْ كَانَ مِنْ حَقِّي التُّزُولُ مِنَ الْبَتْفُسْجِ وَالتَّوَجُّهُ فِي دِمَائِي؟

هَلْ كَانَ مِنْ حَقِّي عَلَيْكَ الْمَوْتُ فِيكَ

لِكَيْ تَصِيرِي مَرِيَمًا

وَأَصِيرَ نَائِي؟

هَلْ كَانَ مِنْ حَقِّي الدَّفَاعُ عَنِ الْأَعَانِي

وَهِيَ تَلْجَأُ مِنْ زَنَايِينِ الشُّعُوبِ إِلَى خُطَايَ؟

هَلْ كَانَ لِي أَنْ أَطْمَئِنَّ إِلَى رُؤَايِ  
وَأَنْ أُصَدِّقَ أَنْ لِي قَمَرًا تُكْوِرُهُ يَدَايِ؟  
صَدَقْتُ مَا صَدَقْتُ، لَكِنِّي سَأْمَشِي فِي خُطَايِ.  
أَنَا لَا أُحِبُّكَ،

كَمْ أُحِبُّكَ، كَمْ أُحِبُّكَ، كَمْ سَنَهُ  
أَعْطَيْتَنِي وَأَخَذْتَ عُمْرِي. كَمْ سَنَهُ  
وَأَنَا أُسَمِّيكَ الْوَدَاعَ، وَلَا أُودِّعُ غَيْرَ نَفْسِي. كَمْ سَنَهُ  
وَعُدُوكَ بِالْآتِي وَحِينَ أَتَاكَ وَأَتَاكَ الْحَيْنُ إِلَى السَّفِينَةِ. كَمْ سَنَهُ  
لَمْ تَذْكُرِي قَرْطَاجَ؟

هَلْ كُنَّا هَوَاءَ مَالِحًا كَيْ تَفْتَحِي رَتِّلِكَ لِلْمَاضِي،  
وَتَبِّي هَيْكَلَ الْقُدْسِ الْقَدِيمَةِ. كَمْ سَنَهُ  
وَعُدُوكَ بِاللُّغَةِ الْجَدِيدَةِ وَاسْتَعَادُوا الْمَيْتِينَ مَعَ الْجَرِيمَةِ.  
هَلْ أَنَا أَلْفٌ، وَبَاءٌ، لِلْكِتَابَةِ أَمْ لِتَفْجِيرِ إِلَهٍ يَأْكُلُ؟  
كَمْ سَنَهُ

كُنَّا مَعًا طَوْقَ النَّجَاةِ لِقَارَةِ مَحْمُولَةٍ فَوْقَ السَّرَابِ،  
وَدَفْتِ الْإِعْرَابِ؟  
كَمْ غَزَبٌ أَتَاكَ لِيَدْخُلَ الْإِسْلَامَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ،  
وَسُنَّةِ النَّقْطِ الْمُقَدَّسِ؟ كَمْ سَنَهُ  
وَأَنَا أُصَدِّقُ أَنَّ لِي أُمَّمَا سَتَلْبَعُنِي  
وَأَنْتِ تَكْذِبِينَ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَالْمُسَدِّسِ، كَمْ سَنَهُ، !

بَيْرُوثُ - مَنْتَصِفِ اللَّغَةَ  
 بَيْرُوثُ - وَمُضَّةُ شَهْوَتَيْنِ  
 بَيْرُوثُ - مَا قَالَ الْفَتَى لِفَتَاتِهِ  
 وَالْبَحْرُ يَسْمَعُ، أَوْ يُورِّعُ صَوْتَهُ بَيْنَ الْيَدَيْنِ.  
 أَنَا لَا أُحِبُّكَ  
 غَمْسِي بِدَمِي زُهُورِكَ وَأَثْرِيهَا  
 حَوْلَ طَائِرَةٍ تُطَارِدُ عَاشِقَيْنِ  
 وَالْبَحْرُ يَسْمَعُ، أَوْ يُورِّعُ صَوْتَهُ بَيْنَ الْيَدَيْنِ.  
 أَنَا أُحِبُّكَ  
 غَمْسِي بِدَمِي زُهُورِكَ وَأَثْرِيهَا  
 حَوْلَ طَائِرَةٍ تُطَارِدُنِي وَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ الْبَحْرُ لِي  
 بَيْرُوثُ لَا تُعْطِي لِتَأْخُذَ  
 أَنْتِ بَيْرُوثُ الَّتِي تُعْطِي لِتُعْطِي ثُمَّ تَسْأَلُ مِنْ ذِرَاعَيْهَا،  
 وَمِنْ شَبَقِ الْمَحَبِّ  
 فَبَايَ امْرَأَةٍ سَأُوْمِنُ  
 وَبَايَ شُبَّانِكِ سَأُوْمِنُ  
 مَنْ نُزُوِّجُنِي صَفَائِرَهَا لِأَشْنُقَ رَغْبَتِي  
 وَأَمُوتُ كَالْأَمَمِ الْقَدِيمَةِ. كَمْ سَنَهُ  
 أَعْرَيْتَنِي بِالْمَشِيِّ نَحْوَ بِلَادِي الْأُولَى  
 وَبِالطَّيْرَانِ تَحْتَ سَمَائِي الْأُلَى

وباسمِكَ كُنْتُ أَزْفَعُ خَيْمَتِي لِلهَارِبِينَ مِنَ التَّجَارَةِ والدَّعَارَةِ  
 والحَصَارَةِ. كَمْ سَنَهُ  
 كُنَّا نُرْشُ عَلَى صَحَائِنَا كَلَامَ البَرَقِ:  
 بَعْدَ هُنَيْهَةٍ سَنَكُونُ مَا كُنَّا وَمَا سَنَكُونُ  
 إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَهَارِكَ العَالِي  
 وَإِمَّا أَنْ نَعُودَ إِلَى البُحَيْرَاتِ القَدِيمَةِ. كَمْ سَنَهُ  
 لَمْ تَسْمَعِينِي جَيِّدًا. لَمْ تَرَدِّعِينِي جَيِّدًا. لَمْ تَحْرِمِينِي مِنْ فَوَاكِهِكِ  
 الجمِيلَةِ. لَمْ تَقُولِي: حِينَ يَبْتَسِمُ المَحِيْمُ تَعْبُسُ المَدُنُ الكَبِيرَةُ.  
 كَمْ سَنَهُ  
 قُلْنَا مَعًا: أَنَا لَا أَشَاءُ، وَلَا تَشَائِينَ. اتَّفَقْنَا. كُنَّا فِي البَحْرِ  
 مَاءً. كَمْ سَنَهُ  
 كَانَتْ نُنْظِمُنَا يَدُ الفَوْضَى:  
 تَعِينُنَا مِنْ نِظَامِ العَازِ،  
 مِنْ مَطَرِ الأَنَابِيْبِ الرَّتِيْبِ،  
 وَمِنْ صُعُودِ الكَهْرَبَاءِ إِلَى العُرْفِ..  
 حُرِّيْتِي فَوْضَائِي. إِنِّي أَعْتَرَفُ  
 وَسَأَعْتَرَفُ  
 بِجَمِيعِ أخطَائِي، وَمَا اقْتَرَفَ الفُؤَادُ مِنَ الأَمَانِي  
 لَيْسَ مِنْ حَقِّ العَصَافِرِ الغِنَاءِ عَلَى سَرِيرِ النَّائِمِينَ،  
 وَالإيدِ يُولُوجِيَا مَهْنَةُ البُولِيْسِ فِي الدُّوَلِ القَوِيَّةِ:

مِنْ نِظَامِ الرِّقِّ فِي رُومًا  
إِلَى مَنَعِ الكُحُولِ وَآفَةِ الأَحْزَابِ فِي المَدِينِ الحَدِيثَةِ.  
كَمْ سَنَهُ

نَحْنُ البِدَايَةُ وَالبِدَايَةُ وَالبِدَايَةُ. كَمْ سَنَهُ

وَأَنَا التَّوَاؤُنُ بَيْنَ مَا يَجِبُ؟

كُنَّا هُنَاكَ. وَمِنْ هُنَا سَتَهَاجِرُ العَرَبُ

لِعَقِيدَةِ أُخْرَى. وَتَعْتَرِبُ

قَصَبٌ هَيَاكِلُنَا

وَعُرُوشُنَا قَصَبُ

فِي كُلِّ مِثْدَتِهِ

حَاوٍ، وَمُعْتَصِبُ

يَدْعُو لِأَنْدَلُسِ

إِنْ حُصِرَتْ حَلْبُ.

وَأَنَا التَّوَاؤُنُ بَيْنَ مَنْ جَاءُوا وَمَنْ ذَهَبُوا

وَأَنَا التَّوَاؤُنُ بَيْنَ مَنْ سَلَبُوا وَمَنْ سُلِبُوا

وَأَنَا التَّوَاؤُنُ بَيْنَ مَنْ صَمَدُوا وَمَنْ هَرَبُوا

وَأَنَا التَّوَاؤُنُ بَيْنَ مَا يَجِبُ:

يَجِبُ الذَّهَابُ إِلَى اليَسَارِ

يَجِبُ التَّوَعُّلُ فِي اليَمِينِ

يَجِبُ التَّمَتُّرُ فِي الوَسْطِ

يَجِبُ الدَّفَاعُ عَنِ الغَلَطِ  
يَجِبُ التَّشَكُّكُ بِالمَسَارِ  
يَجِبُ الخُرُوجُ مِنَ اليَقِينِ  
يَجِبُ الَّذِي يَجِبُ  
يَجِبُ انْهِيَارُ الأَنْظَمَةِ  
يَجِبُ انْتِظَارُ المَحْكَمَةِ  
..وَأَنَا أَحْبَبُكَ، سَوْفَ أَحْتَاجُ الحَقِيقَةَ عِنْدَمَا أَحْتَاجُ تَصْلِيحَ

الخَرَائِطِ وَالخِطَطِ  
أَحْتَاجُ مَا يَجِبُ  
يَجِبُ الَّذِي يَجِبُ  
أَدْعُو لِأَنْدُلِسِ  
إِنْ حُوصِرْتُ حَلْبُ.



بَيْرُوتُ / فَجْرًا:

يُطْلِقُ البَحْرُ الرِّصَاصَ عَلَى النِّوَابِذِ. يَفْتَحُ العُصْفُورُ أُغْنِيَةَ  
مُبَكَّرَةً. يُطِيرُ جَارِنَا رَفَّ الحَمَامِ إِلَى الدُّحَانِ. يَمُوتُ مَنْ لَا  
يَسْتَطِيعُ الرِّكْضَ فِي الطَّرِيقَاتِ: قَلْبِي قِطْعَةٌ مِنْ بُرْتُقَالِ  
يَاسِسِ. أَهْدِي إِلَى جَارِي الجَرِيدَةَ كَيْ يُفْتَشَّ عَنْ أَقَارِيهِ.  
أَعْزِيهِ عَدَا. أَمْشِي لِأَبْحَثَ عَنْ كُنُوزِ المَاءِ فِي قَبْوِ البِنَايَةِ.  
أَشْتَهِي جَسَدًا يُضِيءُ البَارَ وَالغَابَاتِ. يَا "جِيمُ" ائْتَلِينِي

واقْتُلِينِي واقْتُلِينِي!  
يَدْخُلُ الطَّيْرَانُ أَفْكَارِي وَيَقْصِفُهَا..  
فَيَقْتُلُ تِسْعَ عَشْرَةَ طِفْلاً..  
يَتَوَقَّفُ العُصْفُورُ عَن انِّشَادِهِ..  
عَادِيَّةٌ سَاعَاتِنَا - عَادِيَّةٌ،  
لَوْلَا صَهِيلُ الجُنْسِ فِي سَاقِيكَ يَا «جِيم» الجُنُونُ.  
والمَوْتُ يَأْتِينَا بِكُلِّ سِلَاحِهِ الجَوِّيِّ وَالبَرِّيِّ وَالبَحْرِيِّ.  
أَلْفٌ قَدِيْفَةٌ أُخْرَى وَلَا يَتَقَدَّمُ الأَعْدَاءُ شِبْرًا وَاحِدًا.  
«جِيم» اجْمَعِينِي مَرَّةً،  
مَا زِلْتُ حَيًّا - أَلْفٌ شُكْرٌ لِلْمُصَادَفَةِ السَّعِيدَةِ.  
يَبْذُلُ الرُّوسَاءُ جُهْدًا عِنْدَ امْرِيكَ لِتُفْرِحَ عَن مِيَاهِ الشَّرْبِ.  
كَيْفَ سَنَغْسِلُ المَوْتَى؟  
وَيَسْأَلُ صَاحِبِي: وَإِذَا اسْتَجَابَتْ لِلضُّعُوطِ فَهَلْ سَيُسْفِرُ مَوْتُنَا  
عَنْ:  
دَوْلَةٍ..  
أَمْ حَيْمَةٍ؟  
قُلْتُ: انْتَظِرْ! لَا فَرْقَ بَيْنَ الرَّايَتَيْنِ  
قُلْتُ: انْتَظِرْ حَتَّى تَصُبَّ الطَّائِرَاتُ جَجِيهَا!  
يَا فَجَرَ يَبْرُوتَ الطَّوِيلَا  
عَجَلْ قَلِيلًا

عَجَلٌ لِأَعْرِفَ جَيْدًا:  
إِنْ كُنْتُ حَيًّا أَمْ قَتِيلًا.



بَيْرُوتُ / ظَهْرًا  
يَسْتَمِيرُ الْفَجْرُ مُنْذُ الْفَجْرِ.  
تَنْكَسِرُ السَّمَاءُ عَلَى رَغِيفِ الْخُبْزِ.  
يَنْكَسِرُ الْهَوَاءُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ مِنْ عَبْءِ الدُّخَانِ وَلَا جَدِيدَ  
لَدَى الْعُرُوبَةِ:

بَعْدَ شَهْرٍ يَلْتَقِي كُلُّ الْمُلُوكِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْمُلُوكِ مِنَ الْعَقِيدِ  
إِلَى الْعَمِيدِ، لِيَبْحَثُوا خَطَرَ الْيَهُودِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ. أَمَّا  
الآنَ فَالْأَحْوَالُ هَادِيَةٌ تَمَامًا مِثْلَمَا كَانَتْ. وَإِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِينَا بِكُلِّ  
سِلَاحِهِ الْجَوِيِّ وَالْبَرِّيِّ وَالْبَحْرِيِّ. مِليُونُ انْفِجَارٍ فِي الْمَدِينَةِ.  
هَيْرُوشِيمَا هَيْرُوشِيمَا

وَحَدَّنَا نُصْغِي إِلَى رَعْدِ الْحِجَارَةِ، هَيْرُوشِيمَا  
وَحَدَّنَا نُصْغِي لِمَا فِي الرُّوحِ مِنْ عَبَثٍ وَمِنْ جَدْوَى  
وَأَمْرِيكَ عَلَى الْأَسْوَارِ تُهْدِي كُلَّ طِفْلِ لُغْبَةٍ لِلْمَوْتِ عُنُقُودِيَّةً  
يَا هَيْرُوشِيمَا الْعَاشِقِ الْعَرَبِيِّ أَمْرِيكَ هِيَ الطَّاعُونَ، وَالطَّاعُونَ  
أَمْرِيكَ

نَعْسَنَا. أَيَقَطُّنَا الطَّائِرَاتُ وَصَوْتُ أَمْرِيكَ  
وَأَمْرِيكَ لِأَمْرِيكَ



وَهَذَا الْأُفُقُ إِسْمُنْتُ لِوَحْشِ الْجَوِّ.  
 نَفْتَحُ عُلْبَةَ السَّرْدِينَ، نَقْصِفُهَا الْمَدَافِعَ  
 نَحْتَبِي بِسِتَارَةِ الشُّبَاكِ، تَهْتَرُّ الْبِنَايَةُ. تَقْفُزُ الْأَبْوَابُ. أَمْرِيكَ  
 وَرَاءَ الْبَابِ أَمْرِيكَ  
 وَنَمْشِي فِي الشَّوَارِعِ بَاحِثِينَ عَنِ السَّلَامَةِ،  
 مَنْ سَيَدْفُنُنَا إِذَا مِتْنَا؟  
 عَرَايَا نَحْنُ، لَا أُفُقٌ يُعْطِينَا وَلَا قَبْرٌ يُوَارِينَا  
 وَيَا.. يَا يَوْمَ بَيْرُوتِ الْمَكْسَرِ فِي الظَّهِيرَةِ  
 عَجَلٌ قَلِيلًا  
 عَجَلٌ لِنَعْرِفَ أَيَّنَ صَرَخْتُنَا الْأَخِيرَةَ.



بَيْرُوتُ /عَصْرًا  
 تَكْبُرُ الْحَشْرَاتُ.  
 تَزْدَادُ الرُّطُوبَةُ.  
 تَزْتَجِي الْعَصَلَاتُ  
 نَشْعُرُ أَنَّ لِلْأَرْضِ إِحْتِقَانًا فِي مَفَاصِلِنَا،  
 فَنَصْرُخُ: أَيُّهَا الْبَطْلُ انْكَسِرْ فِينَا!



مَسَاءً /فَوْقَ بَيْرُوتِ:

الرُّخَامُ  
يَنْزُ دَمًا، وَيُدْجِنِي الْحَمَامُ  
إِلَى مَنْ أَرْفَعُ الْكَلِمَاتِ سَقْفًا  
وَهَذِي الْأَرْضُ يَجْمَلُهَا الْعَمَامُ؟  
وَيَرْحَلُ، حِينَ يَرْحَلُ، نَحْوَ تَيْبِي  
أَحَدُ فِي الْمُسَدِّسِ، وَهُوَ مُلْقَى  
عَلَى طَرْفِ السَّرِيرِ، وَأَشْتَهِيهِ  
وَيُنْقِذُنِي، وَيُنْقِذُنِي الْكَلَامُ.  
ظَلَامٌ كُلُّ مَا حَوْلِي.. ظَلَامٌ.



بَيْرُوتُ/لَيْلًا:  
لَا ظَلَامَ أَشَدَّ مِنْ هَذَا الظَّلَامِ  
يُضِيئُنِي قَتْلِي.  
أَمِنْ حَجَرٍ يُقَدُّونَ النُّعَاسَ؟  
أَمِنْ مَزَامِيرٍ يُصَكُّونَ السَّلَاحَ؟  
صَحِيَّةٌ  
قَتَلْتُ  
صَحِيَّهَا  
وَكَاثَتْ لِي هَوِيَّهَا،  
أُنَادِي أَشْعِيَا: أَخْرُجْ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ مِثْلَمَا خَرَجُوا، أَرْقَهُ

أُورَشَلِيمَ تُعَلِّقُ اللَّحْمَ الْفِلَسْطِينِيَّ فَوْقَ مَطَالِعِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ،  
وَتَدْعِي أَنَّ الصَّحِيَّةَ لَمْ تُغَيَّرْ جِلْدَهَا.

يَا أَشْعِيَا.. لَا تَزْرَثْ

بَلْ أَهْجِ الْمَدِينَةَ كَيْ أُحِبُّكَ مَرَّتَيْنِ

وَأُعْلِنَ التَّقْوَى

وَأَعْفِرَ لِلْيَهُودِيِّ الصَّبِيِّ بُكَاءَهُ..

إِخْتَلَطَتْ شُخُوصُ الْمَسْرَحِ الدَّمَوِيِّ:

لَا قَاضٍ سِوَى الْقَتْلِ

وَكُفَّ الْقَاتِلِ إِمْتَرَجَتْ بِأَقْوَالِ الشُّهُودِ،

وَأَدْخَلَ الْقَتْلَى إِلَى مَلَكُوتِ قَاتِلِهِمْ

وَتَمَّتْ رَشْوَةُ الْقَاضِي فَأَعْطَى وَجْهَهُ لِلْقَاتِلِ الْبَاكِي عَلَى شَيْءٍ  
يُحْيِرُنَا..

سَرَقَنْتَ دُمُوعَنَا يَا ذَنْبُ

تَقْتُلْنِي وَتَدْخُلُ جَنَّتِي وَتَبِيعَهَا!

أُخْرِجْ قَلِيلًا مِنْ دَمِي حَتَّى يِرَاكَ اللَّيْلُ أَكْثَرَ حُلْكَةً!

وَأُخْرِجْ لِكَيْ نَمَشِيَ لِمَائِدَةِ التَّفَاوُضِ، وَاضْحَيْنِ،

كَمَا الْحَقِيقَةُ:

قَاتِلًا يُدْلِي بِسِكِّينِ.

وَقَتْلَى

يُذْلُونَ بِالْأَسْمَاءِ:

صَبْرًا،  
كَفَرَ قَاسِمٌ،  
دِيرُ يَاسِينُ،  
شَاتِيلاً!



بَيْرُوتُ/أَيْلًا:  
لَا تَنَامِي كُلَّ هَذَا اللَّيْلِ  
لَا تَتَحَدَّثِي عَمَّا يَدُورُ وَرَاءَ هَذَا الْبَابِ  
لَا تَرْمِي ثِيَابَكَ  
لَا تُعَرِّبِي تَمَامًا  
لَا تَقُولِي الْحَبَّ  
لَا تُعْطِي سِوَى فَحْدَيْكَ  
لَا تَتَأَوَّهِي فَالْحَرْبُ تَسْمَعُ زَهْرَةَ الْجَسَدَيْنِ.  
إِنِّي أَرْتَدِيكَ عَلَى الشَّظِيَّةِ قُرْبَ بَابِ الْبَيْتِ،  
نَبَقَى وَاقِفَيْنِ، وَوَاقِفَيْنِ إِلَى النِّهَايَةِ.  
وَاصِلِي سَرَقاتِ هَذَا الشَّهَدِ،  
رُجْبِنِي بِشَهْوَتِكَ السَّرِيعَةِ قَبْلَمَا يَأْتِي إِلَيْنَا مَوْتُنَا الْحَلْفِيُّ،  
إِنِّي أَوْثِرُ الْمَوْتَ الَّذِي يَأْتِي إِلَيَّ كَيْفِيَّ.. نَحْلًا!



بَيْرُوتُ لَيْلًا:

مِثْلَ بَاذِنُجَاتِهِ..

قَمَرٌ غَيْبِيٌّ مَرَّ فَوْقَ الْحَرْبِ

لَمْ يَرْكَبْ لَهُ الْأَطْفَالُ خَيْلًا.



بَيْرُوتُ لَيْلًا:

أُمْسِكُ الْآنَ الْهَوَاءَ الْأَسْوَدَ الصَّخْرِيَّ،

أَكْسِرُهُ بِأَسْنَانِي، أَعْصُ عَلَيْهِ. أَدْمِيهِ. وَأَزْكُلُهُ

أَكَادُ أَجْنُ مِمَّا يَجْعَلُ السَّاعَاتِ.. رَمْلًا.



بَيْرُوتُ لَيْلًا:

قَالَتْ امْرَأَةٌ لِجُنْدِيٍّ قَبِيحِ الْوَجْهِ:

خُذْنِي لِلرَّكَامِ وَفُضْنِي

لَأَصِيرَ.. أَحْلَى.



بَيْرُوتُ لَيْلًا:

لَمْ أَجِدْ فِيكَ الْخَلِيَّةَ وَالْجَزِيرَةَ.

أَيْنَ مَاتَ الشُّعْرُ!

أَيْنَ اسْتَسَلَمْتَ لِلرَّوْحِ لَيْلَى؟



بِيرُوثُ لَيْلًا:

يُصِفُونَ مَقَابِرَ الشُّهَدَاءِ، يَدَثَّرُونَ بِالْفُؤَادِ، يَضْطَجِعُونَ مَعَ  
فَتَيَاتِهِمْ، يَتَزَوَّجُونَ، يُطَلِّقُونَ، يُسَافِرُونَ، وَيُولَدُونَ،  
وَيَعْمَلُونَ وَيَقْطَعُونَ الْعُمُرَ فِي دَبَابَةٍ ۞..  
أَهْلًا وَسَهْلًا!



بِيرُوثُ لَيْلًا:

يُخْرِجُ الشُّهَدَاءَ مِنْ أَشْجَارِهِمْ، يَتَفَقَّدُونَ صِغَارَهُمْ، يَتَجَوَّلُونَ  
عَلَى السَّوَاهِلِ،  
يَرْضُدُونَ الْحَمَّ وَالرُّؤْيَا، يُعْطُونَ السَّمَاءَ بِفَائِضِ الْأَلْوَانِ،  
يُقَلِّشُونَ مَوَاقِعَهُمْ،  
يُسَمُّونَ الْجَزِيرَةَ، يَغْسِلُونَ الْمَاءَ، ثُمَّ يُطْرِزُونَ حِصَارَنَا  
قَطَطًا.. وَنَحْلًا.



بِيرُوثُ لَيْلًا:

وَحَدَنَا، وَاللَّهِ فِينَا وَحَدَنَا  
اللَّهُ فِينَا قَدْ تَجَلَّى!



بَيْرُوتُ / لَيْلًا:  
يَمْدَحُ الشُّعْرَاءَ قَتْلِي فِي مَجَالِسِهِمْ،  
وَيَزْتَعِدُونَ مِنِّي حِينَ أَطْلَعُ بَيْنَهُمْ صَوْتًا وَظِلًّا.



بَيْرُوتُ / لَيْلًا:  
آه، يَا أَفْقًا تَبَدَّى  
مِنْ حِدَاءِ مُقَاتِلٍ  
لَا تَتَغَلَّقُ  
لَا تَتَغَلَّقُ أَبَدًا  
لَيْلًا..



بَيْرُوتُ / ظَهْرًا:  
الْيَوْمَ يَنْشَقُّ الْحِصَانُ.  
الْيَوْمَ يَنْشَقُّ الْحِصَانُ إِلَى نَهَارَيْنِ،  
الْمَدِينَةُ وَالْقَصِيدَةُ تَخْرُجَانِ  
مِنْ خِصْرِ أَجْمَلِنَا سَمِيرَ دُرُوشِ،  
لِيَحْتَفِلَ الْمَكَانُ  
بِنَا.. وَيُنْسَبُنَا إِلَى أَحَدٍ  
لِيُعْطِيَ الْعَائِلَةَ

شَجَرًا وَأَسْمَاءَ..  
 أَتَعْرِفُ مَنْ أَنَا حَتَّى تَمُوتَ نِيَابَةً عَنِّي ؟  
 سَتَمَضِي الْقَافِلَهُ  
 جَارَاكَ رَبُّكَ .. سَوْفَ تَمَضِي الْقَافِلَهُ  
 لَا ، لَيْسَ شِعْرًا أَنْ تَرَى قَمْرًا يَنْقُطُ خَارِطَهُ  
 لَا ، لَيْسَ شِعْرًا أَنْ تُرْتَبَ ذِكْرِيَا تِي السَّاقِطَهُ  
 فَاهْضِ عَلَى فَرَسِ الدُّحَانِ  
 وَارْحَلْ مَعِي ، مِنْ أَجْلِ أُمَّكَ ...



بَيْرُوتُ / عَصْرًا:  
 زَمَنٌ مَضَى  
 لَكِنَّهُ لَا يَنْتَهِي



بَيْرُوتُ / فَجْرًا:  
 الشَّاعِرُ افْتَضِحَتْ قَصِيدَتُهُ تَمَامًا  
 وَثَلَاثَةٌ حَاوَهُ:  
 تَمُورُ  
 وَامْرَأَةٌ  
 وَإِبْقَاعُ



فَنَامَا...

لَا يَسْتَطِيعُ الصَّوْتُ أَنْ يَغْلُوَ عَلَى الْغَارَاتِ فِي هَذِي الْمَدَى  
لَكِنَّهُ يُضْغِي لِمَوْجَتِهِ الْخُصُوصِيَّةِ:  
مَوْتُ وَحُرِيَّةُ

يُضْغِي لِمَوْجَتِهِ وَيَمْتَحُ وَقْتَهُ لِحُنُونِهِ  
مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُجْلِسَ السَّامَ الْمَلَازِمَ فَوْقَ مَائِدَةٍ  
وَيَشْرَبَ قَهْوَةً مَعَهُ  
إِذَا ابْتَعَدَ النَّدَامَى .

الشَّاعِرُ افْتَضِحَتْ قَصِيدَتُهُ تَمَامًا  
بِإِرْوَاتِ تَخْرُجِ مِنْ قَصِيدَتِهِ  
وَتَدْخُلُ حَوْدَةَ الْمُحْتَلِّ،  
مَنْ يُعْطِيهِ دَهْشَتَهُ

وَمَنْ يَرْمِي عَلَى يَدِهِ  
أَرْزًا أَوْ.. سَلَامًا.

الشَّاعِرُ افْتَضِحَتْ قَصِيدَتُهُ تَمَامًا.  
فِي بَيْتِهِ بَارُودَةٌ لِلصَّيْدِ،  
فِي أَضْلَاعِهِ طَيْرٌ

وَفِي الْأَشْجَارِ عُقْمٌ مَالِحٌ.  
لَمْ يَشْهَدْ الْفَضْلَ الْأَخِيرَ مِنَ الْمَدِينَةِ.  
كُلُّ شَيْءٍ وَاضِحٌ مُنْذُ الْبِدَايَةِ،

وَاضِحٌ  
أَوْ وَاضِحٌ  
أَوْ وَاضِحٌ.

وَخَلِيلٌ حَاوِيٌ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، رُغْمًا عَنْهُ  
يُضْغِي لِمَوْجِنَةِ الْخُصُوصِيَّةِ  
مَوْتُ وَحُرِّيَّةٌ  
هُوَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ رُغْمًا عَنْهُ  
فَلْيُفْتَحْ قَصِيدَتَهُ  
وَيَذْهَبْ..

قَبْلَ أَنْ يُغْرِبَهُ تَمَوُّزٌ، وَإِمْرَأَةٌ، وَإِيقَاعٌ  
..وَنَامَا  
الشَّاعِرُ افْتَضِحَتْ قَصِيدَتُهُ تَمَامًا.



بَيْرُوتُ / فَجْرًا  
بَيْرُوتُ / ظَهْرًا  
بَيْرُوتُ / لَيْلًا  
يَخْرُجُ الْفَاشِيُّ مِنْ جَسَدِ الصَّحِيَّةِ  
يَزِيدِي فَضْلًا مِنَ الْبَارُودِ: أُقْتَلُ - كَيْ تَكُونَ  
عِشْرِينَ قَرْنًا كَانَ يَنْتَظِرُ الْجُنُونَ  
عِشْرِينَ قَرْنًا كَانَ سَفَاحًا مُعَمَّمٌ

عَشْرِينَ قَرْنَا كَانَ يَبْكِي.. كَانَ يَبْكِي  
 كَانَ يُخْفِي سَيْفَهُ فِي دَمْعَتِهِ  
 أَوْ كَانَ يَحْشُو بِالْذُّمُوعِ الْبُنْدُوقِيَّةِ  
 عَشْرِينَ قَرْنَا كَانَ يَعْلَمُ  
 أَنَّ الْبُكَاءَ سِلَاحُهُ



صَبْرًا - فَتَاةٌ نَائِمَةٌ  
 رَحَلَ الرَّجَالُ إِلَى الرَّحِيلِ  
 وَالْحَرْبُ نَامَتْ لِنَيْتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ،  
 وَقَدَّمَتْ بَيْرُوثَ طَاعَتِهَا وَصَارَتْ عَاصِمَةً..  
 لَيْلٌ طَوِيلٌ  
 يَرْصُدُ الْأَخْلَامَ فِي صَبْرًا،  
 وَصَبْرًا - نَائِمَةٌ.

صَبْرًا - بَقَايَا الْكَفِّ فِي جَسَدِ قَتِيلٍ  
 وَدَعَتْ فُرْسَانَهَا وَرَمَانَهَا  
 وَاسْتَسَلَمَتْ لِلنُّومِ مِنْ تَعَبٍ، وَمِنْ عَرَبٍ رَمَوْهَا خَلْفَهُمْ.  
 صَبْرًا - وَمَا يَنْسَى الْجُنُودُ الرَّاحِلُونَ مِنَ الْجَلِيلِ  
 لَا تَشْتَرِي وَتَبِيعُ إِلَّا صَمْتَهَا  
 مِنْ أَجْلِ وَرْدٍ لِلصَّغِيرَةِ  
 صَبْرًا - تُغْنِي نَصْفَهَا الْمَفْقُودَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالْحَرْبِ الْأَخِيرَةِ:

لِمَ تَرْحَلُونَ  
وَتَتْرَكُونَ نِسَاءَكُمْ فِي بَطْنِ لَيْلٍ مِنْ حَدِيدٍ؟

لِمَ تَرْحَلُونَ  
وَتُعَلِّقُونَ مَسَاءَكُمْ  
فَوْقَ الْمُخَيَّمِ وَالنَّشِيدِ؟  
صَبْرًا - تُغَطِّي صَدْرَهَا الْعَارِي بِأُغْنِيَةِ الْوَدَاعِ  
وَتَعُدُّ كَفَيْهَا وَتُحْطِيءُ  
حِينَ لَا تَجِدُ الذَّرَاعَ:  
كَمْ مَرَّةً سَتَسَافِرُونَ

وَإِلَى مَتَى سَتَسَافِرُونَ  
وَلَأَيِّ حُلْمٍ؟

وَإِذَا رَجَعْتُمْ ذَاتَ يَوْمٍ  
فَلَأَيِّ مَنْفَى تَرْجِعُونَ،  
لَأَيِّ مَنْفَى تَرْجِعُونَ؟

صَبْرًا - تُمَزِّقُ صَدْرَهَا الْمَكْشُوفَ:  
كَمْ مَرَّةً

تَتَفَتَّحُ الرَّهْرَهُ  
كَمْ مَرَّةً

سَتَسَافِرُ الثَّوْرَةَ؟

صَبْرًا - تُخَالِفُ اللَّيْلَ. تُسَيِّدُهُ لِرُكْبَتَيْهَا

تُعْطِيهِ بِكُحْلِ عُيُونِهَا. تَبْكِي لِتِلْهِهِ:

رَحَلُوا وَمَا قَالُوا

شَيْئًا عَنِ الْعَوْدَةِ

ذَبُلُوا وَمَا مَالُوا

عَنْ جَمْرَةِ الْوَرْدَةِ!

عَادُوا وَمَا عَادُوا

لِبِدَايَةِ الرَّحْلَةِ

وَالْعُمُرَ أَوْلَادُ

هَرَبُوا مِنَ الْقَبْلَةِ.

لَا، لَيْسَ لِي مَنْفَى

لَأَقُولَ: لِي وَطَنُ

اللَّهِ، يَا زَمَنُ! ..

صَبْرًا - تَنَامُ. وَخِنْجَرُ الْفَاشِيَّ يَصْحُو

صَبْرًا تُنَادِي.. مَنْ تُنَادِي

كُلُّ هَذَا اللَّيْلِ لِي، وَاللَّيْلُ مِلْحُ

يَقْطَعُ الْفَاشِيَّ تَدْيِيمًا - يَقِلُّ اللَّيْلُ-

يَرْقُصُ حَوْلَ خِنْجَرِهِ وَيَلْعَقُهُ. يُغْنِي لِإِنْتِصَارِ الْأَرْزِ مَوَالًا،

وَيَمْحُو

فِي هُدُوءٍ.. فِي هُدُوءٍ لَحَمَهَا عَنْ عَظْمِهَا

وَيُمَدِّدُ الْأَعْضَاءَ فَوْقَ الطَّائِلَةِ

وَيُؤَاصِلُ الْفَاشِيَّ رِقْصَتَهُ وَيَضْحَكُ لِلْعُيُونِ الْمَائِلَةِ  
 وَيُجِنُّ مِنْ فَرَحٍ وَصَبْرًا لَمْ تَعُدْ جَسَدًا:  
 يَرْكَبُهَا كَمَا شَاءَتْ غَرَائِزُهُ، وَتَصْنَعُهَا مَشِيئَتُهُ.  
 وَيَسْرِقُ خَاتَمًا مِنْ لَحْمِهَا، وَيَعُودُ مِنْ دَمِهَا إِلَى مِرَاتِهِ  
 وَيَكُونُ - بَجْرُ  
 وَيَكُونُ - بَرُّ  
 وَيَكُونُ - عَيْمُ  
 وَيَكُونُ - لَيْلُ  
 وَيَكُونُ - قَتْلُ  
 وَيَكُونُ - سَبْتُ  
 وَيَكُونُ - صَبْرًا.  
 صَبْرًا - تَقَاطُعُ شَارِعَيْنِ عَلَى جَسَدِ  
 صَبْرًا - نُزُولُ الرُّوحِ فِي حَجَرِ  
 صَبْرًا - لَا أَحَدُ  
 صَبْرًا - هُوِيَّةُ عَصْرِنَا حَتَّى الْأَبَدِ..



بَيْرُوثُ / أَمْسِ / الْآنَ / بَعْدَ غَدٍ:  
 نَشِيدٌ لِلْخَرِيفِ  
 صُورٌ لِمَا بَعْدَ النَّهَارِ  
 وَظَلَالٌ لِإِمْرَأَةٍ غَرِيبَةٍ.

وَطَنِي حَقِيْبَهُ  
 وَحَقِيْبَتِي وَطَنِي  
 وَلَكِنْ... لَا رَصِيْفَ،  
 وَلَا جِدَارَ.  
 لَا أَرْضَ تَحْتِي كَيْ أَمُوْتُ كَمَا أَشَاءُ،  
 وَلَا سَمَاءَ

حَوْلِي  
 لِأَنْتُمْهَا وَأَدْخَلَ فِي خِيَامِ الْأَنْبِيَاءِ.  
 ظَهَرِي إِلَى الْحَائِطِ  
 الْحَائِطِ/السَّاقِطِ!

وَطَنِي حَقِيْبَهُ  
 وَحَقِيْبَتِي وَطَنُ الْعَجْرَ  
 شَعْبٌ يُخِيْمُ فِي الْأَعَانِي وَالذُّحَانِ  
 شَعْبٌ يُفْتَنُّشُ عَنْ مَكَانِ  
 بَيْنَ الشَّطَايَا وَالْمَطْرِ.

وَجْهِي عَلَى الرَّهْرَةَ  
 الرَّهْرَةَ/الْجَمْرَةَ  
 وَطَنِي حَقِيْبَهُ  
 فِي اللَّيْلِ أَفْرُشَهَا سَرِيْرًا  
 وَأَنَا مُ فِيهَا،

أَخَذَ الْفَتَيَاتِ فِيهَا  
 أَذْفُنُ الْأَحْبَابِ فِيهَا  
 أَرْتَضِيهَا لِي مَصِيرًا  
 وَأَمُوتُ فِيهَا.  
 كَفِّي عَلَى النَّجْمَةِ  
 النَّجْمَةُ / الْحَيَمَةُ  
 وَطَنِي حَقِيبُهُ  
 مِنْ جِلْدِ أَحْبَابِي  
 وَأَنْدَلَسَ الْقَرِيبُهُ  
 وَطَنِي عَلَى كَتْفِي  
 بَقَايَا الْأَرْضِ فِي جَسَدِ الْعُرُوبَةِ  
 قَلْبِي عَلَى الصَّخْرَةِ  
 الصَّخْرَةُ / الْحَرَّةُ



يَا أَهْلَ لُبْنَانَ... الْوَدَاعَا  
 شُكْرًا لِكُلِّ شَجِيرَةٍ حَمَلَتْ دَمِي  
 لِتُضِيءَ لِلْفُقَرَاءِ عِيدَ الْخُبْزِ،  
 أَوْ لِتُضِيءَ لِلْمُحْتَلِّ وَجْهِي كَيْ يَرَى وَجْهِي  
 وَيَرْتَدِّي الْجِدَاعَا  
 شُكْرًا لِكُلِّ سَحَابَةٍ عَطَّتْ يَدَيَّ



وَبَلَّثْتُ شَفَتَيْ،  
 حَتَّى أَعْطْتُ الْأَعْدَاءَ بَابًا.. أَوْ قِنَاعًا.  
 شُكْرًا لِكُلِّ مُسَدِّسٍ غَطَّى رَحِيلِي  
 بِالْأَرُزِّ وَالزُّهُورِ،  
 وَكَانَ يَبْكِي أَوْ يُزْعِرُهُ مَا اسْتَطَاعًا.  
 يَا دَمْعَةً هِيَ مَا تَبَقَّى مِنْ بِلَادٍ  
 أُسْنِدُ الذِّكْرِ عَلَيَّهَا... وَالشُّعَاعًا.  
 يَا أَهْلَ لُبْنَانَ الْوَدَاعَا!  
 الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ الرَّسَالََةَ فَانْشُرُونِي، إِنَّ أَرْضَكُمْ، فِي الْقَبَائِلِ تَوْبَةً  
 أَوْ ذِكْرِيَاتٍ  
 أَوْ شِرَاعًا.



الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ الرَّسَالََةَ فِيكُمْ  
 فَلْتَطْفِئُوا لَهْبِي، إِذَا سِتُّكُمْ، عَنِ الدُّنْيَا،  
 وَإِنْ سِتُّكُمْ فزِيدُوهُ ائِدْلَاعًا  
 أَنَا لِي، كَمَا شَاءَتْ خُطَايَايَ  
 حَمَلْتُ رُوحِي فَوْقَ أَيْدِيكُمْ فَرَاشَاتٍ،  
 وَجِسْمِي نَزَجَسًا فِيكُمْ  
 وَمَوْتَايَ ائِدْفَاعًا



يَا أَهْلَ لُبْنَانَ.. الْوَدَاعَا.  
 هَذَا دَمِي، يَا أَهْلَ لُبْنَانَ، اِرْسُمُوهُ  
 قَمْرًا عَلَى لَيْلِ الْعَرَبِ.  
 هَذَا دَمِي - دَمُّكُمْ خُدُوهُ وَوَزَعُوهُ  
 شَجْرًا عَلَى رَمْلِ الْعَرَبِ.  
 هَذَا رَجِيلِي عَنِ نَوَافِذِكُمْ وَعَنْ قَلْبِي الْخُتُوهُ  
 حَجْرًا عَلَى قَبْرِ الْعَرَبِ  
 هَذَا بَكَاءُ رِصَاصِنَا، هَذَا يَتِيمٌ زَوَاجِنَا، فَلْتَرْفَعُوهُ  
 سَهْرًا عَلَى عُرْسِ الْعَرَبِ.  
 هَذَا نَشِيجِي. مَزَّقُوهُ وَبَعَثُوهُ  
 مَطْرًا عَلَى أَرْضِ الْعَرَبِ.  
 هَذَا خُرُوجُ أَصَابِعِي مِنْ كَفِّكُمْ  
 هَذَا فُطَامٌ قَصِيدَتِي، فَلْتَكْتُبُوهُ  
 وَتَرَا عَلَى طَرْبِ الْعَرَبِ.  
 هَذَا غُبَارُ طَرِيقِنَا، فَلْتَرْفَعُوهُ  
 لَهُمُو حُصُونًا، أَوْ قِلَاعًا  
 يَا أَهْلَ لُبْنَانَ الْوَدَاعَا.



سَيَجِيئُكُمْ مَطَرٌ  
 وَيَغْسِلُ مَا تَرَكْتُ عَلَى شَوَارِعِكُمْ مِنَ الْكَلِمَاتِ،  
 يَطْرُدُ مَا تَرَكْتُ عَلَى تَوَافِئِكُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ.  
 يَمْحُو مَا لَمَسْتُ مِنَ الصَّنَوْبِرِ فِي جِبَالِكُمْ  
 وَيُنْسِيكُمْ فَتَى كَسَرَ الْهَوَاءَ عَلَى مَوَائِدِكُمْ قَلِيلًا،  
 أَوْ أَضَاعَ يَدَيْهِ فِي أَيْدِيكُمْ سَنَةً، وَضَاعًا.  
 يَا أَهْلَ لُبْنَانَ... الْوَدَاعَا.



حَدَّقْتُ فِي كَفِّي  
 لِأُبْصِرَ مَا وَرَاءَ الْبَحْرِ -  
 تِلْكَ وَسَيْلَتِي لِتَبْصُرِ الْأَشْيَاءِ -  
 بَحْرٌ، ثُمَّ بَحْرٌ، ثُمَّ بَحْرٌ  
 مَنْ رَأَى  
 عَدَّ أَكْفَانِي  
 وَعَطَى جُرْحَكُمُ كَيْ يَشْتَرِيَ جَبَلًا  
 وَيَبْتَاعَ الصِّرَاعَا.  
 يَا أَهْلَ لُبْنَانَ.. الْوَدَاعَا.



لَا جُوعَ فِي رُوحِي،

أَكَلْتُ مِنَ الرَّغِيفِ الْفَدَّ مَا يَكْفِي الْمَسِيرَ إِلَى نَهَائِي الْجِهَاتِ.  
عَشَاؤُكُمْ لَيْسَ الْأَخِيرَ  
وَلَيْسَ فِينَا مَنْ تَرَجَعَ، أَوْ تَدَاعَى.  
يَا أَهْلَ لُبْنَانَ... الْوَدَاعَا.



جَسَدَانِ فِي تَابُوتِ هَذَا الشَّرْقِ نَحْنُ  
يُزَوِّدَانِ الْمَزُودَ الْمُنْسِيَّ بِالصَّرْحَاتِ،  
نَحْنُ بِشَارَةُ الْمِيلَادِ نَحْنُ  
وَصُورَتَانِ لِخُطْوَةٍ قَدْ حَاوَلْتُ  
قَدْ حَاوَلْتُ  
قَدْ حَاوَلْتُ  
أَنْ تَهْدِيَ الشَّرْقَ الْمَشَاعَا.  
يَا أَهْلَ لُبْنَانَ... الْوَدَاعَا.



إِسْمَانِ لِلتَّوْحِيدِ نَحْنُ:  
عَلَى مَشِيئَتِنَا أَرَدْنَا أَنْ نَكُونَ  
وَلَا يَكُونُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا مَتَاعَا.  
يَا أَهْلَ لُبْنَانَ... الْوَدَاعَا.



وَالآنَ، أَكْمَلْنَا رِسَالَتَنَا  
 إِذْ اتَّحَدَ الشَّقِيقُ مَعَ الْعَدُوِّ  
 وَلَمْ نَجِدْ أَرْضًا نَصُوبُ فَوْقَهَا  
 دَمَنَا  
 وَتَرْفَعُهُ قِلَاعًا.  
 يَا أَهْلَ لُبْنَانَ... الْوَدَاعَا.



الْيَوْمَ انْجِيلُ السَّوَادِ،  
 الْيَوْمَ تَابَتْ مَرْيَمٌ عَنْ تَوْبَةِ التَّوْبَاتِ وَارْتَفَعَ الْحِدَادُ  
 إِلَى جَبِينِ اللَّهِ  
 وَاخْتَفَتِ الْمَلَائِكَةُ الصَّغِيرَةُ  
 فِي آكَالِيلِ الرَّمَادِ...



وَالْبَحْرُ أَبْيَضُ  
 هَذِهِ سُفْنِي الْأَخِيرَةَ  
 تَرَسُو عَلَى دَمْعِ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ تَرْفَعُ رَأْيِي،  
 لَا رَأْيَةَ بَيْضَاءَ فِي بَيْرُوثَ  
 شُكْرًا لِلَّذِي يَجْهِي الْمَدِينَةَ مِنْ رَحِيلِي  
 لِتِي مَدَّتْ ضَفِيرَتَهَا لِتَحْمِلَنِي إِلَى سُفْنِي الْأَخِيرَةَ

-أَيْنَ تَذْهَبُ؟

لَيْسَ لِي بَابٌ لِأَفْتَحَهُ لِفَارِسِي الْأَخِيرِ

-وَالسَّبْتُ أَسْوَدُ،

لَيْسَ لِي قَلْبٌ لِأَخْلَعَهُ عَلَى قَدَمَيْكَ يَا وَلَدِي الصَّغِيرِ

-أَنَا لَا أُوَدِّعُ، بَلْ أُوَزِّعُ هَذِهِ الدُّنْيَا

عَلَى الزَّيْدِ الْأَخِيرِ

-وَأَيْنَ تَذْهَبُ؟

أَيْنَمَا حَطَّتْ طُيُورُ الْبَحْرِ فِي الْبَحْرِ الْكَبِيرِ.



الْبَحْرُ دَهَشْتُنَا، هَشَاشْتُنَا

وَعُزْبَتُنَا وَلُغْبَتُنَا

وَالْبَحْرُ أَرْضُ نِدَائِنَا الْمُسْتَأْصَلَةِ

وَالْبَحْرُ صُورَتُنَا

وَمَنْ لَا بَرَّ لَهُ

لَا بَحْرَ لَهُ...



...بِحُرِّ أَمَامِكَ، فِيكَ، بَحْرٌ مِنْ وَرَائِكَ.

فَوْقَ هَذَا الْبَحْرِ بَحْرٌ، تَحْتَهُ بَحْرٌ

وَأَنْتَ نَسِيدُ هَذَا الْبَحْرِ...

كَمْ كُنَّا نُحِبُّ الْأَزْرَقَ الْكُحْلِيَّ لَوْ لَا ظَلَلْنَا الْمَكْسُورَ فَوْقَ الْبَحْرِ،  
كَمْ كُنَّا نَعُدُّ لِيَشْهَرِ أَيْلُولَ الْوَلَايَمِ.

-عَمَّ تَبَحَثُ يَا فَتَى فِي زَوْرِقِ الْأُودَيْسَةِ الْمَكْسُورِ؟

-عَنْ جَيْشِ يُجَارِبِيٍّ وَمَهْزَمِيٍّ فَأَنْطِقُ بِالْحَقِيقَةِ ثُمَّ أَسْأَلُ: هَلْ  
أَكُونُ مَدِينَةَ الشُّعْرَاءِ يَوْمًا؟

-عَمَّ تَبَحَثُ يَا فَتَى فِي زَوْرِقِ الْأُودَيْسَةِ الْمَكْسُورِ؟

-عَنْ جَيْشِ أَحَارِبِيٍّ وَأَهْزَمِيٍّ،

وَعَنْ جُزْرِ تَسْمِيهَا فُتُوحَاتِي، وَأَسْأَلُ: هَلْ تَكُونُ مَدِينَةَ الشُّعْرَاءِ  
وَهُمَا؟

-عَمَّ تَبَحَثُ يَا فَتَى فِي زَوْرِقِ الْأُودَيْسَةِ الْمَكْسُورِ، عَمَّ؟

-عَنْ مَوْجَةٍ ضَبِعْتُهَا فِي الْبَحْرِ

عَنْ خَاتَمِ

لَأَسْبِجَ الْعَالَمَ

بِحُدُودِ أُعْنِيَّتِي

-وَهَلْ يَجِدُ الْمُهَاجِرُ مَوْجَةً؟

يَجِدُ الْمُهَاجِرُ مَوْجَةً غَرَقَتْ وَيُرْجِعُهَا مَعَهُ



بَحْرٌ لَتَسْكُنَ، أَمْ تَضِيعُ

بَحْرٌ لِأَيْلُولِ الْجَدِيدِ أَمْ الرَّجُوعُ إِلَى الْفُضُولِ الْأَزْبَعَةِ

بَحْرٌ أَمَامَكَ، فِيكَ، بَحْرٌ مِنْ وَرَائِكَ.

تَفْتَحُ الْمَوْجَ الْقَدِيمَ: وُلِدْتُ قُرْبَ الْبَحْرِ مِنْ أُمَّ فَلَسْطِينِيَّةٍ وَأَبِ  
 أُرَامِيٍّ. وَمِنْ أُمَّ فَلَسْطِينِيَّةٍ وَأَبِ مَوَائِيٍّ. وَمِنْ أُمَّ فَلَسْطِينِيَّةٍ  
 وَأَبِ أَشُورِيٍّ. وَمِنْ أُمَّ فَلَسْطِينِيَّةٍ وَأَبِ عَرُوبِيٍّ. وَمِنْ أُمَّ،  
 وَمِنْ أُمَّ... عَلَى حَجَرٍ يُقَيِّدُ الرُّومَانَ أَسْرَى حَزْبِهِمْ  
 وَيُحَرِّرُونَ جَمَالَهُمْ مِنِّي...

أَنَا الْحَجَرُ الَّذِي شَدَّ الْبَحَارَ إِلَى قُرُونِ الْيَابِسَةِ  
 وَأَنَا نَبِيُّ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَشَاعِرُ الشُّعْرَاءِ

مُنْذُ رَسَائِلِ الْمِصْرِيِّ فِي الْوَادِي إِلَى أَشْلَاءِ طِفْلِ فِي شَاتِيَلَا.  
 أَنَا أَوَّلُ الْقَتْلَى وَآخِرُ مَنْ يَمُوتُ.  
 إِجْبِلْ أَعْدَائِي وَتَوَرَّاهُ الْوَصَايَا الْيَابِسَةَ  
 كَتَبْتُ عَلَى جَسَدِي  
 أَنَا أَلْفٌ وَبَاءٌ فِي كِتَابِ الرَّسْمِ،  
 يُشْبِهُنِي وَيُقْتَلُنِي سِوَايَ  
 كُلُّ الشُّعُوبِ تَعَوَّدَتْ أَنْ تَدْفِنَ الْمَوْتَى بِأَضْلَاعِي  
 وَتَبْنِي مَعْبَدًا فِيهَا  
 وَتَرَحَّلَ عَنِّي تَرَايَ  
 وَأَنَا أَضِيقُ أَمَامَ مَمْلَكَتِي  
 وَتَلَسُّعُ الْمَمَالِكُ فِيَّ،  
 يَسْكُنُنِي وَيُقْتَلُنِي سِوَايَ.



كُلُّ الشُّعُوبِ تَرَوَّجَتْ أُمِّي،  
 وَأُمِّي لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِأُمِّي  
 خَصْرُهَا بَجْرٌ. ذِرَاعَاهَا بَجْرٌ يَابِسٌ  
 وَنُعَاسُهَا مَطَرٌ وَنَائِي.  
 وَأَنَا أَفِيضُ أَمَامَ أُعْيُنِي  
 وَتَحْسِبُنِي حَنَاجِرُهَا  
 يُؤَاخِنُنِي وَيَقْتُلُنِي سِوَاي.  
 ...وَأَنَا نَشِيدُ الْبَحْرِ.

لَا أَرْضَى بِمَا يُرْضَى دَمَ الْإِعْرِيقِ مِنْ رِيحِ تَهَبُّ لِتَنْتَهِي الْمَأْسَاءَ  
 بِالْمَأْسَاءِ. قَدْ ذَبُوكَ كَيْ يَجِدُوكَ كُرْسِيًّا فَلَا تَجْلِسُ  
 لِأَنَّ جَمِيعَ آلِهَتِي كِلَابُ الْبَحْرِ  
 فَاحْذَرُهَا وَلَا تَذْهَبْ إِلَى الْقُرْبَانِ...  
 إِنَّ الرِّيحَ وَاقِفَةً  
 فَلَا تَلْمَسُ يَدَ الْقُرْصَانِ،  
 فَلَا تَصْعَدُ إِلَى تِلْكَ الْمَعَابِدِ  
 لَا تُصَدِّقْ  
 لَا تُصَدِّقْ  
 فَهِيَ مَذْبَحَةٌ  
 وَلَا تُحْمَدُ هَجِيرَكَ عِنْدَمَا يَتَمَمُّ السَّجَّانُ شَكْلَ الْكَاهِنِ  
 الرَّسْمِيِّ،

إِنَّ جَمِيعَ إِلَهِي كِلَابُ الْبَحْرِ  
فَاخْذِرْهَا.

وَدَعْ.. دَعْ كُلَّ شَيْءٍ وَاقِفًا  
دَعْ كُلَّ مَا يَنْهَارُ مِنْهَا!  
وَلَا تَقْرَأْ عَلَيْهِمْ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ كِتَابِكَ!..  
وَالْبَحْرُ أَيْضُ

وَالسَّمَاءُ

قَصِيدَتِي بَيْضَاءُ

وَالتَّمْسَاحُ أَيْضُ

وَالهَوَاءُ

وَفِكْرَتِي بَيْضَاءُ

كَلْبُ الْبَحْرِ أَيْضُ

كُلُّ شَيْءٍ أَيْضُ:

بَيْضَاءُ دَهْشَتُنَا

بَيْضَاءُ لَيْلَتُنَا

وَحُطُوتُنَا

وَهَذَا الْكَوْنُ أَيْضُ

أَصْدِقَائِي

وَالْمَلَائِكَةُ الصَّغَارُ

وَصُورَةُ الْأَعْدَاءِ

أَبْيَضُ، كُلُّ شَيْءٍ صُورَةٌ بَيِّضَاءُ. هَذَا الْبَحْرُ، مِلءُ الْبَحْرِ،  
أَبْيَضُ..



لَسْتُ آدَمَ كَيْ أَقُولَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْرُوتَ مُنْتَصِرًا عَلَى الدُّنْيَا  
وَمُنْهَزِمًا أَمَامَ اللَّهِ.

أَنْتَ الْمَسْأَلَةُ

الْأَرْضُ إِعْلَانٌ عَلَى جُدُرَانِ هَذَا الْكَوْنِ،  
حَبَّةُ سُمْسِمٍ، قَتْلَاكَ

وَالْبَاقِي سُدَى

فَاعْطِ الْمَدَى

إِسْمَ الْعُيُونِ الْمُهْمَلَةَ

لَكَ أَنْ تَكُونَ - وَلَا تَكُونَ

لَكَ أَنْ تُكُونَ

أَوْ لَا تُكُونَ..

كُلُّ أَسْئَلَةِ الْوُجُودِ وَرَاءَ ظِلِّكَ مَهْزَلَةٌ.

وَالْكَوْنُ دَفْتَرُكَ الصَّغِيرُ،

وَأَنْتَ خَالِقُهُ،

فَدَوِّنْ فِيهِ فِرْدَوْسَ الْبِدَايَةِ، يَا أَبِي..

أَوْ لَا تَدَوِّنْ

أَنْتَ.. أَنْتَ الْمَسْأَلَةُ.

مَاذَا تُرِيدُ؟

وَأَنْتِ مِنْ أُسْطُورَةٍ تَمْشِي إِلَى أُسْطُورَةٍ

عَلَمًا؟

وَمَاذَا تَنْفَعُ الْأَعْلَامُ..

هَلْ حَمَتِ الْمَدِينَةَ مِنْ شَطَايَا قُنْبُلَهْ؟

مَاذَا تُرِيدُ؟

جَرِيدَةً؟

أَتَنْقَسُ الْأُورَاقُ دُورِيًّا

وَتَعْزَلُ سُنْبُلَهْ؟

مَاذَا تُرِيدُ؟

أَشْرِطَةَ؟

هَلْ يَعْرِفُ الْبُولِيسُ أَيْنَ سَتَحْبُلُ الْأَرْضُ الصَّغِيرَةُ بِالرِّيَّاحِ

الْمُقْبِلَةَ؟

مَاذَا تُرِيدُ؟

سَيَادَةَ فَوْقَ الرَّمَادِ؟

وَأَنْتِ سَيِّدُ رُوحِنَا يَا سَيِّدَ الْكَيْنُونَةِ الْمُتَحَوِّلَةَ.

فَاذْهَبِ...

فَلَيْسَ لَكَ الْمَكَانُ وَلَا الْعُرُوشُ / الْمَرْبَلَةَ.

حُرْبَةُ التَّكْوِينِ أَنْتِ

وَحَالِقُ الطَّرِيقَاتِ أَنْتِ

وَأَنْتَ عَكْسُ الْمَرْحَلَةِ.  
 فَادْهَبْ فَقِيرًا كَالصَّلَاةِ  
 وَحَافِيًا كَالنَّهْرِ فِي دَرْبِ الْحَصَى  
 وَمُوجَّلاً كَقُرْنُفَلَةٍ.  
 لَا، لَسْتَ آدَمَ كَيْ أَقُولَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْرُوتَ أَوْ عَمَّانَ أَوْ  
 يَافَا، وَأَنْتَ الْمَسْأَلَةُ  
 فَادْهَبْ إِلَيْكَ، فَأَنْتَ أَوْسَعُ مِنْ بِلَادِ النَّاسِ، أَوْسَعُ مِنْ فَضَاءِ  
 الْمِفْصَلَةِ  
 مُسْتَسْلِمًا لِصَوَابِ قَلْبِكَ  
 تَخْلَعُ الْمُدْنَ الْكَبِيرَةَ وَالسَّمَاءَ الْمُسْدَلَةَ  
 وَتَمُدُّ أَرْضًا تَحْتَ رَاخَتِكَ الصَّغِيرَةَ،  
 خَيْمَةً  
 أَوْ فِكْرَةً  
 أَوْ سُئْبَلَةً.  
 كَمْ مِنْ نَبِيٍّ فِيكَ جَرَّبَ  
 كَمْ تَعَذَّبَ كَيْ يُرْتَبَ هَيْكَلُهُ.  
 عَبَثًا تُحَاوِلُ يَا أَبِي مُلْكًا وَمَمْلَكَةً  
 فَسِرْ لِلجُلُجَلَةِ  
 وَاضَعِدْ مَعِي  
 لِتُعِيدَ لِلرُّوحِ الْمُسْرِدِ أَوَّلَهُ

مَاذَا تُرِيدُ، وَأَنْتِ سَيِّدُ زَوْجِنَا  
يَا سَيِّدَ الْكَيْنُوتَةِ الْمُتَحَوَّلَةِ؟  
يَا سَيِّدَ الْجَمْرَةِ  
يَا سَيِّدَ الشُّعْلَةِ  
يَا سَيِّدَ الثَّوْرَةِ  
مَا أَضْيَقَ الرِّخْلَةَ  
مَا أَكْبَرَ الْفِكْرَةَ  
مَا أَصْعَرَ الدَّوْلَةَ...!

نبع النشر، الباشفاكية العربية  
القيروان، كانون الثاني 2014